محاضرات في الجغرافية السياسية/ المحاضرة الأولى

الأستاذ المساعد الدكتور

عمر كامل حسن

جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية

University Of Anbar - College Of Education for Human sciences -
Department Of Geography
Assist – Prof. Dr. **Omar Kamel Hassan**

مدخل في الجغرافيا السياسية ومفهومها

Introduction to political geography and its concept

الجغرافية السياسية(Political geography) فرع متخصص من ضمن علم الجغرافية وأكثر ما تختص به في العلاقات بين العلاقات الجغرافية والوحدات السياسية. كما أنها احد فروع الدراسة الأوسع المعروفة بالجغرافية البشرية (Human geography).

ويرجع تعبير الجغرافية السياسية إلى العالم الألماني كانت (1703 – 1727) الذي يعد أباً للجغرافية السياسية وكان يدلي بأسس الجغرافية السياسية أثناء إلقاء محاضراته في الجغرافية الطبيعية.

في منتصف القرن السابع عشر كتب وليام بني (وهو طبيب بريطاني) كتابًا أوضح في كثير من البراعة العلاقة بين الدول ونظمها ونموها وبين ظروف البيئة الجغرافية، فقد تكلم عن المساحة المثالية للدولة التي تستطيع أن تسيطر عليها وتبسط نفوذها في أرجاء هذه المساحة، ويمكن للسكان استغلالها على الوجه الأكمل، وفطن إلى أهمية المدن الكبرى في ربط وتوجيه السكان نحو مراكز القوة والجذب في الدولة، وذكر أهمية كثافة السكان وغنى الدولة وانتشار العمران حتى تصبح الدولة وحدة سياسية متماسكة في الداخل وقوة لها اعتبارها في الخارج.

ويعد العالم الجغرافي الألماني فريدرش راتزل (Fridrich Ratzel)(1844–1914). المؤسس الحقيقي لعلم الجغرافية السياسية ، حيث تعود نشأة الجغرافيا السياسية كفرع مستقل عن الدراسات البشرية في الجغرافيا إلي عام 1897، ففي ذلك العام صدر للجغرافي الألماني كتابا بعنوان الجغرافية السياسية الذي يعد أول مرجع علمي في هذا الموضوع ، حيث ركز على العلاقة بين السياسية والبيئة الطبيعة خاصة الأرض والمناخ.

إن هناك فارقًا كبيرًا بين الجغرافية السياسية وبين علم السياسية برغم أن الموضوع في أسسه العامة مشترك بالنسبة الوحدة السياسية او الدولة ، فالدولة بالنسبة للجغرافية السياسية عبارة عن عنصرين

أساسيين هما الأرض والشعب، ينجم عنهما عنصر ثالث هو نتاج التفاعل بينهما أي(الأرض والشعب) . وتشتمل دراسة الأرض على كثير من عناصر الدراسة الجغرافية الطبيعية على رأسها عنصر المكان الجغرافي والأقاليم الطبيعية للدولة، كما تشتمل دراسة الشعب على عناصر كثيرة من الدراسة للحياة البشرية، وهي تبدأ بالسكان والنشاط الاقتصادي وأنماط السكن والمدن والتكوين الحضاري للناس من حيث سلالاتهم ومجموعاتهم اللغوية وتنظيمهم الطبقي، أما العلاقة بين الأرض والناس فهي شديدة التعقيد والتشابك فهي التي تحدد عناصر قوة وضعف الدولة او الوحدة السياسية، وفي هذا المجال يضع الجغرافي السياسي نصب عينيه حدود الدولة كإطار محدد للوحدة الأساسية في الجغرافية السياسية، برغم ما تتعرض له الحدود من تغيرات، وبرغم أن خطوط الحدود في أحيان كثيرة إنما هي خطوط افتعالية ترتضى لزمن معين، ويؤدي هذا إلى عدم ثبات الوحدة .

هدف الجغرافية السياسية هو تحديد كيف ان التنظيمات السياسية تكون متطابقة في الشروط الجغرافية الطبيعية والبشرية وكيف تؤثر هذه الشروط في العلاقات الدولية.

ورغم الصلة بين الجغرافية السياسية والجغرافية البشرية إلا انه توجد فوراق بينهما فبينما الجغرافية البشرية تبحث في العلاقات بين المجتمعات وبيئاتها الطبيعية دون تقييد أو التزام بالإطار أو الأنماط السياسية الخاصة التي تتخذها تلك المجتمعات، نجد في المقابل أن الجغرافية السياسية توجه اهتمامها بالدرجة الأولى إلى المجتمعات في صورها وعلاقاتها السياسية.

وتهتم الجغرافية السياسية بدراسة النظم السياسية واي نظام سياسي يعتمد على العملية السياسية التي عن طريقها يعمل ويمارس فعالياته ،كما ويعتمد على منطقة جغرافية يعمل داخل حدودها ونطاقها ، فلا يمكن ان يكون هناك نظام سياسي في فراغ. فالجغرافية السياسية تهتم بدراسة التفاعل بين الإقليم الجغرافي والعملية السياسية التي تعنى بتتابع الإحداث السياسية والإجراءات التي يتخذها الإنسان لخلق النظام السياسي او المحافظة عليه ومدى علاقتها المكانية مع تفسير ذلك.

الوحدة الإقليمية للجغرافية البشرية هي الإقليم الجغرافي(geographical region) الذي يعبر عن الوحدة النابعة من تكامل عناصره الطبيعية والبشرية، ذلك التكامل الذي يعطي للإقليم الجغرافي كيانه المتميز رغم صعوبة تعين حدود واضحة له.

أما الوحدة الإقليمية للجغرافية السياسية هي الإقليم السياسي(Political region)أو الوحدة السياسية بوجه عام والدولة بوجه خاص. و الإقليم السياسي هو عبارة عن وحدة إقليمية مصطنعة ، فهو نتيجة للمجهودات الذي يبذلها السكان لخلق وحدة سياسية قد تختلف اختلاف كلي عن الإقليم الجغرافي.

ويمكن أن نحدد أوجه الاختلاف بين الإقليم السياسي والإقليم الجغرافي بعدة نقاط هي :

1 – الإقليم الجغرافي عبارة عن وحدة طبيعية بشرية تشمل مساحة كبيرة من سطح الأرض كالإقليم الاستوائي أو إقليم البحر المتوسط أو الإقليم الموسمي وغيرها من الأقاليم الطبيعية، إما الإقليم السياسي فهو منطقة مصطنعة محددة المساحة.

2 – الإقليم الجغرافي غير محدد تحديدا قاطعا، بينما الإقليم السياسي محدد بحدود واضح المعالم .

3 – الإقليم الجغرافي ثابت بدوام ثبات العناصر الطبيعية، أما الإقليم السياسي أو الوحدة السياسية فعرضه للتغيير المستمر ، سواء في المساحة أو في الحدود أو في الظروف الداخلية أو العلاقات الخارجية .... الخ نتيجة كونها ذات أساس بشري وان الإنسان نفسه عرضة للتغيير.

4 – يتميز الإقليم السياسي بتوفر البيانات الإحصائية التي تجمع على أساس الدولة او الوحدة السياسية بينما الإقليم الجغرافي يفتقر إلى مثل هذه البيانات لعدم وجود جهاز معين مسؤول عن جمع المعلومات المماثلة الخاصة بالأقاليم الجغرافية.

5 – الإقليم الجغرافي قديم بقدم الطبيعة والإنسان ، في حين أن الإقليم السياسي ظاهرة حديثة نسبيا ، نشأت بعد نشأة الجماعات السياسية.

ولقد مرت الجغرافية السياسية أثناء تطورها بعدة مراحل هي:

أولا: مرحلة العلاقات البيئية : وفيها فسر العلماء القدامى السلوك البشري وعلاقته بظاهرات البيئة الطبيعية ، فالذكاء والمهارة الفنية والروح كما يفسرها أرسطو طاليس(384–322 ق.م) لها علاقة وثيقة بنوع المناخ السائد. تناول أرسطو في كتابه (السياسة) الدولة المثالية وكيف ان الاعتبار السياسي يلعب دورا كبيرا في تحديد حجم السكان الأمثل للدولة المثالية من اجل تحقيق الرفاهية لكل فرد في المجتمع ، فينبغي ان لا يكون عدد السكان كبيرا يصعب حكمة او صغيرا بحيث يُستضعف من قبل الدول الأخرى.

كما أشار إلى ضرورة ان الدولة ينبغي ان تكون في حماية قوية بحيث تؤمن على نفسها من الغزو الخارجي متخذا من اثنا عاصمة روما مثالاً التي كانت محمية بإحاطتها الجبال من كل جانب، كما ينبغي للدولة ان تكون لها إطلالة بحرية تضم ميناء بحري يفتح لها من خلاله أبواب التجارة الخارجية.

ومن رواد هذه المرحلة أيضا أفلاطون (428–347 ق.م) في كتابه (الجمهورية) بعض الموضوعات التي ترتبط بالجغرافية السياسية حيث كان يرى ان (مدينة الدولة) هي الشكل المناسب للسكان ، وان نشأة الدولة وان وحدتها تتحقق من خلال ترابط سكانها وتجمعهم.

وقد برز من العرب العالم ابن خلدون (1382–1305) عندما تناول ما يربط بالجغرافية السياسية في كتابه (مقدمة ابن خلدون) حيث أشار إلى القبيلة والدولة والصراع بين البدو والحضر ، كما ناقش نشأة الدولة وعوامل انهيارها واثر السلالة البشرية في تكوين الدولة.

وبمضي الزمن تطورت دراسة البيئة حتى تحولت تدريجيا إلى حتم جغرافي ينسب العلماء كل مظهر من مظاهر السلوك السياسي إلى اثر البيئة الطبيعة.

ثانياً: مرحلة دراسة الوحدات القومية: في هذه المرحلة تطورت الجغرافية السياسية إلى دراسة الأساس الجغرافي للدولة وقد تقدمت هذه الدراسة على يد العالم الجغرافي الألماني فريدرش راتزل ، وما كتبه أرسطو طاليس وغيره من العلماء في العلاقة القائمة بين البيئة وبين الدولة كانت كتابات عامة ، أما راتزل ومن جاء بعده فإليهم يرجع الفضل في تطوير هذه العلاقة في تصنيف الآثار التي تحدثها البيئة في قوة الدول.

وكان راتزل من أنصار الحتم الجغرافي وكان كتاباته السياسية تهتم بنوع خاص من نمو الدولة من خلال كتابه (الجغرافية السياسية) أوضح راتزل أن العوامل الجغرافية تتحكم في نمو الدولة وتكوينها وان حدود الدولة قابلة للنمو و الزحزحة حتى بلغ حدودها الطبيعية ، وتتعداها ان لم تجد مقاومة من دول الجوار وبذلك كانت بداية مفهوم أو نظرية المجال الحيوي(Lebensraum) من أراء العالم الجغرافي الألماني فريدرش راتزل . الذي يرى في الدولة كائناً حيّا تدفعه الضرورة للنمو عن طريق الحصول على الأعضاء التي تعوزه، حتى ولو دفعه هذا إلى استخدام القوة، وهذا الرأي هو نظرة بيولوجية بحتة للدولة. و راتزل أول من درس علاقات المكان place والموقع location, في كتابه(الجغرافية السياسية) دراسة أصولية للدول المختلفة، ولهذا السبب وحده يعد راتزل مؤسس الجغرافية السياسية عن جدارة.

ثالثاً: مرحلة دراسة الأقاليم السياسية: الدراسات التي وضعت في ميدان الجغرافية خلال السنوات الأولى من القرن العشرين لم تعن بالسياسة التي تطبقها الوحدات السياسية المختلفة التي يتألف منها لعالم ولا بوجهة نظرها في المشاكل السياسية . وقد بدا الجغرافيين السياسيون بدراسة المشاكل السياسية على نطاق أوسع دراسة تفصيلية على سبيل المثال ظهرت مجموعة من الكتب تعالج مشكلة الحدود بين الدول ، وهذا واضح كذلك من الدور الذي ساهم به الجغرافيون السياسيون من خلال ما أبدوه من آراء في المناقشات

التي دارت في مؤتمر الصلح بين الدول عقب الحرب العالمية الأولى (1914–1918) وكان بمثابة تطبيق عملي لخبرتهم الجغرافية وتدريب لهم في الشؤون الدولية.

مفهوم الجغرافية السياسية :

لقد ظل العلماء قرونا طويلة يدرسون ويحللون العلاقات بين السلوك السياسي للجماعة والبيئة الطبيعية التي يعيشون فيها، ورغم ذلك فإن الجغرافية السياسية كعلم مستقل له ميدان خاص ومنهج متميز لم يظهر بشكل واضح إلا في نهاية القرن التاسع عشر، ولذلك فإن إطار هذا العلم لم يتحدد إلا بالخطوط العريضة. فقد تعرض المهتمون بالجغرافية السياسية لتحديد المفهوم العام لها من خلال ما طرأ على علم الجغرافية عموما من تغير، كما ارتبط تعريفها ببعض العلوم الأخرى المرتبطة بها كالتاريخ والسياسة والعلاقات الدولية، ولذلك جاء التعريف معبرا عن وجهة نظر العلاقة بينها وبين هذه العلوم، وعن وجهة نظر ومفهوم ومجال دراسة كل مهتم بهذا الموضوع. ولكن معظم التعاريف جاءت متفقة إلى حد كبير في المضمون رغم اختلافها في الشكل والصياغة.

ولكن كثرة التعاريف للجغرافية السياسية تزيد الموضوع تعقيدا إذ يجب أن يتفق الجميع على تعريف جامع يقتنع به الجميع؛ لأن تعدد التعاريف وتباينها حتى من حيث الشكل يزيد الموضوع غموضا.

ومن بين أهم ما ورد من تعاريف للجغرافية السياسية ما يلى :

– يعرف فان فالكنبرج الجغرافية السياسية بأنها: الدول أو الوحدات السياسية التي تتناول دراسة كل دولة كوحدة تتميز بظروف خاصة في الإنتاج والاستهلاك، والمساهمة في تحقيق متطلبات السكان، كما تتناول مقومات تقدم الدولة وقوتها وعلاقتها بغيرها من الدول.

– وبومان يعرف الجغرافية السياسية بأنها: «العلم الذى يساعد على تحديد الأسباب الجغرافية المؤثرة فى السلوك السياسي للإنسان» .

– ويعرف ألكسندر: الجغرافية السياسية في كتابه بعنوان (world political patterns) بأنها: دراسة الأقاليم السياسية التي ينقسم إليها سطح الأرض

كظاهرة من ظاهرات سطحها وأن طبيعة وكينونة ومدى هذه الأقاليم السياسية مرهون بالاختلافات للظواهر السياسية الموجودة في العالم، كما يرى أن الجغرافية السياسية لا تهتم بشكل وتركيب

الحكومة ذاتها أو بتقسيم الوظائف بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية أو ما إذا كانت الحكومة ديمقراطية أو ديكتاتورية .

– ويرى برنهس: أن الجغرافية السياسية تعد جزءا من جغرافية التاريخ أكثر من تبعيتها للجغرافية.

– ويرى جاكسون في كتابه (political and geography realtions) أن الجغرافية السياسية هي : علم دراسة الظاهرات السياسية في ضوء إطارها المكاني سواء أكان ذلك يتضمن تحليل الحدود السياسية والأنماط الجغرافية الناجمة عن تطبيق سلطة الحكومة أو مدى استقرار الوحدات السياسية الجديدة.

– أما إيست فيذكر في كتابه (the natural of political and geography) أن الجغرافية السياسية هي : الجغرافية العامة التي تهتم بالظاهرات السياسية واختلافها من مكان لآخر متأثرة بالبيئة الجغرافية.

– ويرى مودى في كتابه (geography behind history) أن الجغرافية السياسية هي : تحليل العلاقات بين البيئة والدولة من الوجهة السياسية.

– ويرى كاسبرسنى (the structure of political geography) أن الجغرافية السياسية هى: التحليل المكاني للظاهرة السياسية.

– ويعرف كوهين : الجغرافية السياسية في كتابه بعنوان (geography and political in world divided) بأنها: الأسلوب الخاص أو الطريقة الخاصة لدراسة العلاقات الدولية.

– ويعرف هارتسهورن: الجغرافية السياسية في كتابه بعنوان(political geography in the modern world) بأنها: دراسة العلاقة بين الأرض في صورة الموقع والمساحة والموارد الاقتصادية والدولة فى صورة السكان من حيث قدراتهم وآراؤهم ودوافعهم الاجتماعية في ضوء تباين ظاهرات سطح الأرض ودراسة العلاقات بين الدول في ضوء العوامل الجغرافية.

– ويعرف ويتلسى: الجغرافية السياسية بأنها الوحدة السياسية تعد نواة الجغرافية السياسية، وأن القيمة السياسية للدولة ترتبط ارتباطا وثيقا بالظروف المناخية التي تشغلها الدولة وبأشكال سطح الأرض وبالموارد الطبيعية في تلك المناطق.

– ويرى جونز : أن الوحدة السياسية التي تهتم الجغرافية السياسية بدراستها يمكن أن تكون ميدانا لتفاعل القوى السياسية فيها. ويشير إلى أن العقائد السياسية التي يدين بها السكان يمكن أن تولد قوة سياسية فى منطقة من الأرض، وتؤثر هذه المنطقة فيما بعد في تطوير هذه العقائد ونشرها فى مناطق أخرى.

والوحدة السياسية التي تهتم الجغرافية السياسية بدراستها والتي يلعب الإنسان فيها دوره السياسي لها أبعاد عديدة، فهي تعد امتدادا أفقيا إذا نظرنا إليها من ناحية الشكل أو الحجم أو الموقع أو الموارد الطبيعية، كما تعد امتدادا رأسيا إذا نظرنا إليها من ناحية التفاعل الذى يقوم بينها وبين الإنسان الذى يعيش فيها، أو بينها وبين الأهداف التي يسعى الإنسان لتحقيقها والقوانين التي يسنها، والنشاط الاقتصادي والثقافي الذى يمارسه عليها. وهناك بعد ثالث يتمثل في الزمن الذى يحدد التفاعل بين الامتداد الأفقي والامتداد الرأسي فى فترة معينة.

وفى ضوء ما سبق من التعاريف للجغرافية السياسية فإنه يمكننا القول بشكل عام بأنها: دراسة العلاقات بين السلوك السياسي للإنسان وبين البيئة الجغرافية وإلى أي حد تتأثر الظروف السياسية للمجتمع بالبيئة الجغرافية التي يعيش فيها الإنسان، وإلى أي مدى أثرت في هذه البيئة، وهى أيضا دراسة الاختلافات والتشابه بين الأقاليم السياسية التي تترتب على طبيعة الحكم في هذه الأقاليم. ونظام الحكم أو السيطرة في أي إقليم من الأقاليم يؤثر في العلاقات التي تقوم بين الدول التي توجد في هذا الإقليم، ولذلك فإن الجغرافية السياسية عند دراستها للأقاليم السياسية تتناولها باعتبارها وثيقة الصلة بالشئون القومية والدولية بالإضافة إلى كونها جزءا من ميدان الجغرافية الإقليمية.